والأكليروس، حتى وصل الأمر ببعضهم إلى اتهامه بالهرطقة. قيمة إنسانية وفكرية تعدّ مثالاً للتنوّر والنزعة الإنسانية السمحاء. تنسحب في زمن الظلمات الذي يزداد تمدّداً وتغوّلاً.

*** يقام جناز الكهنة الساعة العاشرة من قبل ظهر اليوم الاثنين في «كنيسة القديس جاورجيوس للروم الأرثوذكس ـ عاليه»، ويشيّع في الثالثة من بعد ظهر اليوم. تقبل التعازي قبل الدفن وبعده، ويومي الثلاثاء والأربعاء في 27 و28 آذار (مارس) في صالون الكنيسة من الساعة الحادية عشرة حتى السادسة مساءً.**

الأكليروس وبشّر بالدولة المدنية

أخذ معه ضباب عاليه... وغادر

أحمد محسن

يفعل الضباب ما يفعله عادةً، يمشح الابتسامات بالحزن. في تلك الظهيرة الخريفية وجدناه فجأة فوق عاليه. نعرف أنها مدينة يزورها الضباب، وأن الطقس سيكون بارداً. ورغم ذلك بدا الضباب مفاجئاً. وعلى الأرجح، كانت السمفونية السابعة لموزار، تلك التي تملأ غرفة الاستقبال. وكان الأب جورج مسوح ينتظر حسب الموعد، يستمع إلى الموسيقى التي تخرج من التلفزيون. كل شيء على طبيعته: العازفون داخل الشاشة منهمكون بالعزف. الضباب في الخارج يستجيب لموزار، وينزل برفقٍ على الجبل القريب. وكان الأب مسوح، في صالون المنزل الذي أقيم إلى جانب الكنيسة، يتحدث عن الجبل، الكنيسة، وعن لبنان المتخيّل، ولبنان كما هو في الواقع. وكنا نعرف، أن «أبونا جورج» منفتح، ورغم ذلك، كان الأمر مفاجئاً. أن يكون الأب مسوح منفتحاً أكثر مما توقعنا بكثير.

قصدنا كاهن رعية عاليه ليحدثنا عن الأجراس المفقودة. عن تلك القصة التي نسمعها دائماً عن حرب الجبل، وأين ذهبت أجراس الكنائس. وكانت الأسئلة تطفو على السطح بينما كان الأب مسوح يخرج أجوبته من مكانٍ عميق في قلبه، وكي لا نبالغ، في ذاكرته أيضاً. بين كثيرين قابلتهم وحده جورج مسوح كان متسامحاً تماماً. وبالمعنى اللاهوتي للكلمة وحده فقط كان مسيحياً. يرفض التشكيك بحدوث «المصالحة» في الجبل وبإتمامها. ولكنه يرفض الشك، أكثر من رفضه للواقعة، أو اكتراثه بحدوثها من عدمه. يرفضه على قاعدة الإيمان. يؤمن مسوح بإمكانية المصالحة وبإمكانية العيش، ويستدل إلى ذلك بتاريخ جبل لبنان المتكسّر، وبتاريخ طويل للمسيحية الباقية في الشرق. وكما يقول البابا جوزيف راتزنغر في أحد كتبه إن «لا أحد يستطيع التملص تماماً من الإيمان». كان مسوح مؤمناً أن المسيحيين واللبنانيين والبشر بشكلٍ عام لن يستطيعوا التنصل من وجودهمً، وأن تنصلهم من العيش مع الآخر، هو محاولة تنصل فاشلة من الوجود. كان الأب محباً للفلسفة، لكنه كان أقرب (بكثير) إلى كيركغارد منه إلى هيغل، ويبحث عن الحس الإنساني أكثر من بحثه عن الثقافة. كل مقالاته تدل على أنه يرى الثقافة بدون «شعور إنساني» لا ترقى إلى مصاف التسمية. ونقول كيركغارد، لأن جورج مسوح كان وجودياً، وكان مؤمناً في الوقت عينه، من

> **كان وجودياً ومؤمناً في الوقت عينه**

دون أن يوافق على «ديانة فردانية». لقد انتمى إلى الكنيسة في الشرق، ولكن الذي يقرأه يشعر بأن جورج مسوح والكنيسة معاً ينتميان إلى الشرق. وهو انتماء على قاعدة وجودية أيضاً لا اختلال فيها للزمن من الاختلالات التي تفعلها السياسة والحروب.

بين كثيرين، وحده أبونا جورج، كان واضحاً وحاسماً: العودة قبل الحديث عن الحرب. وعلى الجميع أن يعودوا، أن لا يديروا ظهورهم لبعضهم البعض. ومثلما يقول في كثير من مقالاته إن الأماكن المقدّسة حتى في مهد المسيحية، ليست أهم من الفلسطينيين أنفسهم، ولا يجب أن تكون كذلك، قال مسوح قبل 6 سنوات إن الجبل هو الجبل، وأن البيوت ليس بيوتاً بلا ساكنين. إنه واحد بين قلة ينظر إلى الحرب، نظرةً من خارجها. فلا يضع نفسه في وضعية تحرمه تأويلها تأويلاً إنسانياً، أو تأويلاً مسيحياً، كما نفترض أن الأب مسوح كان ليسميه. وعلى هذا المنهج، يتخذ مواقف كثيرة جلبت له المتاعب. أنصفه العارفون عندما اعترفوا بنزعاته «الهرمنوطيقية»، وحاربته فئة أوسع، كانت تهمس ضدّه حتى استحضار مصطلحات قروسطية ضدّه، الهرطقة ليس سوى أكثرها دلالة على الفضاء الذي أراد مسوح الخروج إليه. وما كان يميّزه، أنه كان قادراً على تقديم إحالات لاهوتية في غاية الجدية، عندما يطرح الأفكار الجديدة، إن كانت تلك الأفكار تدعو (بصوتٍ خافت) إلى البحث في دخول المرأة إلى الكهنوت، أو إلى التمييز بين ما هو جوهري في المسيحية، وما هو غير جوهري فيها، من دون أن يمس ذلك بجوهر المسيحية نفسها. وإن كان أعداؤه يحاولون («تصويره» . من دون أن يعرفوا ذلك ـ كنسخة شرقية من فويرباخ، فإن ذلك ليس دقيقاً على الإطلاق.

أفكار كثيرة تركها الأب مسوح معلّقة على الرفوف. أفكار للسجال والمساجلة، في المسيحية، من داخلها ومن خارجها. أفكار للجميع، أرادها لحماية المسيحية من كهنتها. برحيله أمس، يُخشى على تلك الأفكار. هل يجوز القول إن جورج مسوح كان إشكالياً؟ غالب الظن لا يحبّ ذلك. كان يحب أن يقال إنه «مؤمن»، وأنه ينتمي إلى «الكنيسة الأورثوذكسية»، بمعزل عن تأويلات المعنى عندما نقول أورثوذكسية. كان مؤمناً حقيقياً يريد لصورة الإيمان أن تكون ساطعة مثل صورة الإنسان وهو ينظر إلى النهر قبل أن يتعمد. سيجري النهر لكن الصورة ستبقى في مكانها عائمة على وجه الماء: أبونا جورج مسّوح مبتسماً، ذاهباً إلى العالم الآخر. العالم الذي لا نتخيّله بالضرورة مثلما يتخيّله. ولا نعرفه مثلما يعرفه. على عكسه ليس لدينا تصورات عمّا يمكن أن يكون ذلك العالم. ما نعرفه هو أن الضباب سينزل حزيناً على عاليه اليوم، كما لو أنه زيت مقدّس يمشح المدينة الحزينة.

في الجامع الازرق (اسطنبول) مع الشيخ غاندي مكارم ورلى تلحوق

«علينا فصل الدين عن السياسة وإبعاد رجال الدين عن قوانين الأحوال الشخصية».

التجربة الحزبية العلمانية

عن إمكانية اتحاد «أصحاب الفكر» في ما بينهم، يصرّح: «نحن قلة، لسنا أكثرية. مؤسساتنا أقوى منا. الناس يصغون إلى المؤسسة مثل «المجلس الكاثوليكي للإعلام»، لا للمفكّر الديني كفرد». المؤسسة أقوى من الأفراد. وفي هذه المؤسسة، يتحوّل نبش قبور الحرب الأهليّة والتذكير بالعمالة مسألة حسّاسة تمنع الالتحام الفعلي في المجتمع بين المسيحيين والمسلمين. لكنّ لمسّوح رأياً مطولاً في هذه النقطة: «ليس سهلاً تجاوز محنة الحرب. لم تدفن حتى نوقظها. الذاكرة حية». العودة إلى الفلسطيني كسبب في كل مرة، وقصة طرد المسيحيين من لبنان واستيطانه، هي ذريعة بائسة... «أعتقد أنها ليست صحيحة، يجدون ذرائع دائمة لتسليط الضوء على ما هو سيئ عند الآخر لتحسين النفس». برأيه، التجربة الحزبية العلمانية لم تكن لتحسن الوضع: «إنها تجربة سيئة حوّلت المشروع القومي من مشروع لتحرير الإنسان، إلى مشروع لاستغلاله في غياب كلي للديمقراطية وتداول السلطة فيها وارتهانها لأنظمة معينة». في معرض تناوله لما طرحه المفكرون القوميون من نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين، أمثال فرح أنطون وقسطنطين زريق، يرى أن طروحاتهم كانت علمانية، لكن «كل ما في الفكر جميل، يتحوّل في الواقع إلى بشاعة، هذا الفكر الإنساني متأثر بالفكر الأوروبي، وأعتقد أن تجديد هذا المشروع لا يزال ممكناً، لكن عبر جمعيات تأسيسيّة جديدة لهيئات تعمل في المجتمع في قطاعات التربية والإعلام وسواها».

إسلاموفوبيا وفق الطلب

لا يرى مسّوح أن الخوف يحكم علاقة المسيحيين بالمسلمين في الشرق، بل إن «الإسلاموفوبيا تعبير أجنبي ينطبق على الحالة الأوروبية والأميركية. تختلف المسألة عندنا». يشبّهها بعلاقة بين زوجين تمرّ بأوقات جيّدة وسيّئة. على المستوى البشري العام، لا فوبيا برأيه، إذ يعيش الناس ويعملون معاً ولا يمكن التمييز بين المسيحي والمسلم. تستعمل الفوبيا أو التخويف عند الحاجة «مثلما استغلّت في الحرب السورية. أدخلوا إلى عقول الناس أن كل إسلاموي لديه نشاط إسلامي هو إرهابي حتماً». وعن المخاوف التي تحكم علاقة اللبنانيّين، يشير إلى أن «ثمة فيتوات، ليست مسألة خوف، بل عوامل عديدة متداخلة، منها الاعتداد بالنفس لدى المسيحيين برفضهم دخول مناطق معيّنة». ويضرب مثالاً: «إن منع بيع الأراضي في منطقة الحدث وتدخّل البلدية فيه ضرب لمفهوم المواطنة، إذ لا يجوز التمييز بين لبناني وآخر». لا يجوز التمييز بين إنسان وآخر. هذه كانت «خلاصة» أفكار الأب جورج مسّوح.

حتى تتوقف المؤسسات الدينية عن التمييز بين مسلم ومسيحي».

يرى مسّوح أنّ اختيار الدولة المدنية كدولة مثالية يجب أن تسعى إليه المؤسسات الدينية قبل سواها بما يتوافق مع حرية الإيمان في الدين. وينظر إلى مسألة حق الزواج المدني كمثال للنفاق، إذ يلجأ الناس للزواج الديني، لحاجتهم إلى توثيق الزواج وليس من منطلق إيماني. «يأتي المسيحي إلى الكنيسة مرّة ليتزوّج وأخرى غصباً عنه وهو ميت. لسنا بحاجة لحرية دينية، لأن المؤمنين يمارسون إيمانهم، بل نريد حريّة دينية لغير المؤمنين ليكونوا أحراراً من السلطات الدينية. الاضطهاد يطاول غير المؤمنين. ثمة مسلمون يودّون الأكل والشرب خلال الصيام ولا يستطيعون، ومسيحيون يودون الزواج مدنياً وليس بمقدورهم السفر إلى قبرص». أكثر من ذلك، يقول مسوح بلا مواربة: